الإحالة القصصية في سورة الفجر

أ.د. زينب علي عبيد
hum.zainab.ali@uobabylon.edu.iq

الملخص/
تشكل الاحالة دوراً مركزياً في عملية تماسك النصوص واتساقها، لما لها من اهمية في جذب المتلقي بوصفها اداة مهمة للخروج من السياق الرتيب في التتابع النصي. وهي علاقة نصية بين عنصر آني وآخر سابق او لاحق له، وتكون داخل النص أو خارجه سواء أكانت هذه الاحالة لفظية اومعنوية بحسب مقتضيات السياق.
وفي ورقتنا البحثية هذه سأستعير مفهوم (الإحالة) بوصفه مصطلحاً يشير الى علاقة نصية دلالية لاتخضع لقيود نحوية وتشترط التطابق بين عناصر الاحالة: المحيل والمحال اليه في دراسة موضوع (الاحالة القصصية في سورة الفجر) بوصف القصص القرآني وسورة (الفجر) خاصة تمتلك خاصية إحالية، فذكر اسماء مجردة عن التفصيل(عاد ، ثمود ، فرعون) باوصاف مختصرة ماهي الا دعوة للمتلقي بامعان الفكر والبحث عن دلالة هذه الاسماء عن طريق إحالتها الى القصة التي تتضمنها في في سور أخرى من النص القرآني نفسه.
وقد تقسم البحث الى ثلاثة مطالب :
الاول/ التعريف بالإحالة القصصية.
الثاني/ الإحالة القصصية المختزلة.
الثالث/ الإحالة القصصية شبه المكتملة.
الرابع/ الإحالة القصصية المكتملة.
الكلمات المفتاحية/ الاحالة- القصصية- عاد- ثمود- فرعون.

Narrative Reference in Surat Al-Fajr

/Summary
Reference plays a central role in the process of textual coherence and consistency, given its importance in attracting the recipient as an important tool for breaking out of the monotonous context of the textual sequence. It is a textual relationship between a present element and another preceding or succeeding it, and it can be within or outside the text, whether this reference is verbal or semantic, depending on the context.
In this research paper, I will borrow the concept of "reference" as a term that refers to a semantic textual relationship that is not subject to grammatical restrictions and requires congruence between the elements of the reference: the referrer and the referred to. In this study of the topic "Narrative Reference in Surat Al-Fajr," I will describe

the Qur'anic stories, and Surat Al-Fajr in particular possesses a referential characteristic. Mentioning names devoid of detail ('Aad, Thamud, Pharaoh) with brief descriptions is nothing more than an invitation to the recipient to reflect deeply and search for the significance of these names by referring them to the story they contain in other surahs of the same Qur'anic text. The research is divided into three sections:
.First: Definition of narrative reference
.Second: Abbreviated narrative reference
.Third: Semi-complete narrative reference
.Fourth: Complete narrative reference
.Keywords: Narrative reference, Aad, Thamud, Pharaoh

المطلب الاول/ التعريف بالاحالة القصصية:

تشكل الاحالة دوراً مركزياً في عملية تماسك النصوص واتساقها، لما لها من اهمية في جذب المتلقي بوصفها اداة مهمة للخروج من السياق الرتيب في التتابع النصي.

وردت الاحالة في المعاجم اللغوية بمعنى التغيير " والمُحال من الكلام: ما عُدِل به عن وجهه ، وحوَّله: جَعَله مُحالاً. وأحال: أتى بمُحال. وَرَجُلٌ مِحْوال: كثير مُحال الكلام"[1] . وأحال الشيء :" تحول من حال الى حال، أو أحال الرجل: تحول من شيء الى شئ"[2]

و يمكننا تعريف الاحالة مصطلحياً بحسب مقتضيات البحث ودواعيه على انها علاقة نصية بين عنصر آني وآخر سابق او لاحق له، وتكون داخل النص أو خارجه سواء أكانت هذه الاحالة لفظية اومعنوية بحسب مقتضيات السياق.

وقديماً لم يتناول النقاد موضوع الاحالة كما عرفه المحدثون ، اغلبها تقوم على مرجعية الضمير واهمية الربط به، فالجرجاني يتحدث عن الربط بين الكلام ، والضمير والاشارة والذكر بعد الإضمار فتلعب أدواراً تؤثر في المعنى حيث يرى أن مما يقوي مكان المعنى ويشده أن يتقدم في أول الكلام مايعود إليه في آخره ، ويكون الكلام بأسره كالكلمة الواحدة.[3]

وبين الرضي (ت 686ه) هذا المفهوم بقوله" وإنما احتاجت الى الضمير ، لأن الجملة في الأصل كلام مستقل، فاذا قصدت جعلها جزء الكلام فلابد من رابط تربطها بالجزء الآخر، وتلك الرابطة هي الضمير، إذ هو الموضوع لمثل هذا الغرض "[4] هذه هي المعاني التي وردت الاشارة الى الاحالة قديماً دون التصريح بلفظها.

اما المحدثون فقد عرفوها على انها" تنبيه القارئ في مكان من كتاب أو مقالة بالرجوع الى مكان آخر يعالج ما يتصل بالموضوع قيد الدرس، وذلك لربط نواحي الموضوع بعضها ببعض"، وعُرفت ايضاً على أنها اداة للتواصل بين المتكلم والمخاطب. لانها ترتبط بمواقف تواصلية سابقة اي انها مرتبطة بمخزون المخاطب كما يتصوره المتكلم.[5] وعرفها (دي بوجراند): " هي العلاقة بين العبارات والأشياء والأحداث والمواقف والعالم الذي يدل عليه

بالعبارات، ذات الطابع الاختياري في نص ما إذ تشير الى شيء ينتمي الى نفس عالم النص، أمكن أن يقال عن هذه العبارات أنها ذات إحالة مشتركة"[6] وعرفها (محمد خطابي) على أنها: "تعتبر ألإحالة علاقة دلالية ومن ثم لا تخضع لقيود نحوية، إلا أنها تخضع لقيد دلالي ، وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية ، بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه"[7] واشار (لاينز) الى أن" المتكلم هو الذي يحيل (باستعماله لتعبير مناسب) أي أنه يحمّل التعبير وظيفة إحالية عند قيامه بعملية إحالة"[8] ويمكن الجزم على أن الاحالة هي" العلاقة بين ألاسماء والأشياء ، أو بين الضمائر والأشياء"[9]

وفي ورقتنا البحثية هذه سأستعير مفهوم (الإحالة) بوصفه مصطلحاً يشير الى علاقة نصية دلالية لاتخضع لقيود نحوية وتشترط التطابق بين عناصر الاحالة: المحيل والمحال اليه في دراسة موضوع (الاحالة القصصية في سورة الفجر) بوصف القصص القرآني وسورة (الفجر) خاصة تمتلك خاصية إحالية، فذكر اسماء مجردة عن التفصيل(عاد ، ثمود ، فرعون) باوصاف مختصرة ماهي الا دعوة للمتلقي بامعان الفكر والبحث عن دلالة هذه الاسماء عن طريق إحالتها الى القصة التي تتضمنها في في سور أخرى من النص القرآني نفسه.

المطلب الثاني / الاحالة القصصية المختزلة :

يمكننا الجزم بأن النص القرآني يمتاز بتماسكه اللفظي والمعنوي وبنظام إحالي بالغ الدقة، يتجاوز حدود الجملة والآية ، ليخلق شبكة دلالية من العلاقات النصية، ومن ابرز اشكال هذا التماسك هو: الإحالة النصية الى مواضع قرآنية أخرى، حيث تذكر لفظة او آية موجزة في سياق معين، لكنها تحتاج الى مرجعية تسهب القول فيها وتبين مفاصلها في اطار سردي محكم.

ونجد هذه الظاهرة منتشرة في القرآن الكريم ، وهي ضرباً من الاحالة القصصية ، بأن يشار الى قصة أو مشهد سردي ورد في سورة أخرى ، مما يفضي على القارئ استحضار معرفته المسبقة بالنصوص القرآنية الاخرى ، لفهم الإشارة واستكمال معناها، والتي توصف على أنها نوعاً من التناص[10]، او التداخل النصي الذي يثري المعنى، ويسهم في تعميق البنية الرمزية والدلالية للنص .

ففي سورة الفجر نجد ان هناك ذكر لأسماء تظهر على أنها اسماء اعلام الا ان النص القرآني فيه سياقات خاصة تشير الى ان هذه اسماء لاقوام لهم حكايات وقصص وردت في النص لغاية معينة. قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ(6) إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ (7) ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلاَدِ (8) وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ (9)وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلأَوْتَادِ (10) ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِي ٱلْبِلاَدِ (11) } [11]، لم يبين الخطاب القرآني هنا قصة هؤلاء الاقوام (عاد وثمود وفرعون) ، والنص القرآني يبدأ بقسم عظيم . قال تعالى:{ الْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِي (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (٥) }[12] فهو قسم عظيم ودلالة ووسيلة من وسائل التنبيه ولتأكيد الحجة، وتوكيد الاخبار لتستقر في النفس ، ويتزعزع فيها ما يخالفها، ويبعث المتلقي الى التفكير الجاد فيما ورد القسم من أجله[13] .

وما يتقدم من قسم ماهو الا ابراز لاهمية ما تحمله هذه الاسماء من سرديات فيها عبرة وعضة ومن هنا تتضح أهمية محاولة الكشف عن الاحالة القصصية التي تحملها هذه الاسماء بما تحويه من تكثيف وايجاز ، فالفاظ مثل (عاد وارم) تستدعي مشهد سردي دون عرضه لتمنح هذه الالفاظ قوة مرجعية تامة تفتح النص على مواضع اخرى.

فالاحالة القصصية للفظة (عاد) وردت بمواضع عديدة من القرآن الكريم {وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ }[14] وقد جمع الله سبحانه الاقوام الذين بعث لهم الرسل وجحدوا بآيات الله بقوله سبحانه وتعالى:{أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (70)}[15] وقوله تعالى في سورة هود:{ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ}[16] وقوله تعلى في السورة نفسها:{وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ}[17] ، وفي السورة نفسها يقول جل وعلا :{ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (60)} [18]وقوله تعالى في سورة الشعراء:{كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ}[19]وقوله تعالى في سورة (فصلت):{ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ }[20] وقوله تعالى في السورة نفسها{فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ }[21] وقوله تعالى:{ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (21)}[22]، وقوله تعالى: { وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (41)}[23] وقوله تعالى:{ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (18)}[24] وقوله تعالى:{ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (6)}[25]. يتضح هنا دلالات القسم الذي بدأت به السورة فهو قسم لامر عظيم وهذا التوظيف القرآني يعكس بلاغة القرآن الكريم في الايجاز التعبيري رغم عظم الامر ، وان التماسك النصي يتجاوز حدود السياق المباشر الى ماهو أوسع على مستوى البنية الكلية للنص القرآني.

من الواضح ان الاحالة هنا جاءت احالات القبلية[26] الا أنها مختزلة ، اذ لانجد فيها سرد لأحداث وقعت بتفصيلاتها أو ذكر لمعجزات ، أو تفاعل درامي ، لعلة لايعلمها الا الله سبحانه لكن تركيز الايات على العذاب وما أحل بهم { فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ (16) }[27]فهؤلاء قوم اهلكوا بذنوبهم والمهم من ذكرهم هو المصير الذي آلوا اليه لا في السرد نفسه ، وقد وردت في القرآن الكريم، دون الاعادة والتكرار وبشكل مختزل ، بوصفها نوع من الاحالة الاختزالية[28] والتي يقصد بها حذف عناصر لغوية بوصف معناها قابل للاستدراك ضمناً ، ويمكن استدعاؤه تلقائياً من قبل القارئ في البيئة النصية. وتستعمل في الخطاب القرآني بكثرة بوصفه خطاباً بلاغياً وفيه اعجاز علمي فائق الصياغة.

واذا ما فحصنا النصوص القرآنية وبحسب اراء المفسرين نجد ان (ارم) هي القبيلة اوالمدينة التي يسكنها قوم عاد، ونبيهم هو هود (عليه السلام) ، ويطلق عليهم عاد الاولى بدلالة قوله تعالى:{ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عاداً الأُولى}[29]، والاية الكريمة دليل على وجود عاد ثانية لكنها لم تذكر في القرآن الكريم صراحة.

فالصورة السردية رغم اختزاليتها تكاد ان تكون واضحة ولها ابعاد حكائية ؛ لان النص القرآني نص محكم فقد سبق الكلام عن هذه الاقوام قوله تعالى{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6)}[30] وهذه الرؤية هي رؤية علمية ، الا أن الخطاب الالهي جعلها{ألم ترَ} اي الم تصلك هذه الاخبار والخطاب لرسول الله(صلى الله عليه واله وسلم) لان هذه الاسماء لها إحالات سردية مشهدية ولها أحداث ووقائع وقعت .

اضافة الى أنه خبر من الله سبحانه وتعالى لايخاطه شك فهو علم كالرؤية البصرية بل هو اوثق منها. فقوله تعالى:{ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8)}[31] هي صورة حضارية لمدينة لم ينشأ مثلها وليس لها مشابه أي انها الدولة الاولى في العالم. الا ان السردية تحتاج الى احالة كي تكتمل الصورة الحكائية وهي احالة قبلية بقوله تعالى :{وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ} [32] وقوله تعالى:{ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (60)}[33]، هذه الاية الاحالية فيها تحذيرات ربانية الى أن العقوبات ليست في الآخرة فقط وانما في الدنيا ايضاً.واشكال العذاب موضحة بالآيات الكريمة الاحالية {وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (41)}[34] وقوله تعالى:{ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (18)}[35] وقوله تعالى:{ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (6)}[36].

المطلب الثالث/ الاحالة القصصية شبه المكتملة:

تطالعنا هنا خاصية إحالية أخرى أكثر تفصيلاً في ورود إحالاتها القصية فقوله تعالى:{ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (9)}[37] فتحيلنا الاية الكريمة الى قصة هؤلاء القوم في سور أخرى قال تعالى في سورة الاعراف :{ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73)}[38] ففي الآية الكريمة توضيح وسرد باعجاز قرآني ، فقد بدأت الاية بارسال الرسول لهم وهو نبي الله صالح (عليه السلام) وقيل اخاهم لانه منهم ونسبه يعود اليهم. فدعاهم الى التوحيد { اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ} وهي لب كل رسالة سماوية، وهذه الصيغة تتكرر في القرآن الكريم لهذا يمكن وصفها بانها إحالة قصصية نمطية. ومع وجود المعجزة { قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً} وهي معجزة مادية محسوسة ورغم التحذير بعدم مسها بسوء {وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } وهنا توتر سردي واستباق لما سيعقب التحذير من أحداث {فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (77) }[39]

وهنا يتصاعد الحدث بتحدي رسولهم والتحذير الذي حذرهم به فقد تقسمت الاحداث الاحالية الى :

- الدعوة، بدعوة صالح (عليه السلام) لقومه ، وتقديم الناقة كآية محسوسة لهم، وثم تحذيرهم من ايذائها.
- تذكير بنعم الله سبحانه وتعالى عليهم باستخلافهم بعد قوم عاد{ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (74)}[40]

- جدال الملأ من قومه واستكبارهم ورفضهم الايمان{ الَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (75)}[41]
- تحدي القوم تصاعد الاحداث ووقوع عقر الناقة{ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (77)}[42]
- الحل والجزاء الالهي للقوم المستكبيرين{ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (78) فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (79)}[43]

الخطاب القرآني لايعيد ويكرر الصياغات السردية في النص القرآني بل يحيل الى احداثها أو عناصرها في مواضع مختلفة ويفصل في موضع ويجمل في موضع آخر، بحسب السياق وسبب النزول ولحكمة إلاهية لايعلمها الا هو سبحانه. فلم يذكر تفصيل في الاية السابقة عن الناقة واحيلت في سورة أخرى بقوله تعالى:{ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (59)}[44] فوصف الناقة " أنها ناقة مبصرة ، جعل الابصار للناقة. كما تقول للشجة: موضحة، وهذه حجة مبينة. وإنما عني بالمبصرة: المضيئة البينة التي من يراها كانوا أهل بصر بها، أنها لله حجة ، كما قيل : والنهار مُبصراً" [45].

ولاشك أن هناك إحالات قرأنية اخرى الا انها تقدم الاحالة بصورة مختصرة جداً ، غير موضحة للسردية القصصية أوأنها تكرار بصياغة يقتضيها السياق. الان سورة الاعراف تقدم نموذجاً سردياً يتسم بقدر كافٍ من التفصيل (شبه مكتمل)الذي يغني المتلقي لفهم قصة هؤلاء القوم وهي منزلة بين منزلتين بين الاحالة التامة والافصاح الكامل. وهي اداة سردية بلاغية لترسيخ العبرة وتجديد تلقي القصة دون تكرارها.

ونخلص من ذلك ان ذكر ثمود إحالياً يقع بين الاختزال والاكتمال بحسب السياق. ففي مواضع مثل سورة الاعراف وهود والشعراء تكون شبه مكتملة. ومواضع اخرى مثل الاسراء والشمس يرد ذكر ثمود بطريقة مختزلة. وهو ما يوظف بلاغياً لايقاظ الذاكرة القصصية للمتلقي بالتدبر والتفاعل.

المطلب الرابع/ الاحالة المكتملة:

والاسم الاخر الذي ورد في سورة الفجر(فرعون) {وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10)}[46] فقد ورت إحالات كثيرة في القرآن الكريم لذكر فرعون سنركز على الاحالة القصصية الاكثر أكتمالاً من خلال تماسك الاحداث وان اختلف ذكرها في سور القرآن الكريم .

وقد تقسمت إحالتها في القرآن الكريم الى:

- ذكر فضل الله تعالى لكل من لم يعاصر فرعون بآلية الاسترجاع .قال تعالى:{وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (49)} [47]
- المعجزة الإلاهية بآلية النجاة وهي بتفرقة البحر الى فرقتين{ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (50)}[48]
- التحذير وتبيان سبب العذاب { ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (103)}[49]
- التماسك السردي بعرض الاحداث كاملة المتضمنة حواراً دلالياً لأحداث مهمة ترسم صورة سردية مكتملة متمثلة بسورة الاعراف من الآية (104-141) اي أن لفظة (فرعون) في سورة الفجر تحيل الى وقائع وأحداث ذكرت في مواضع قرآنية أخرى بتماسك سردي يميل الى التفصيل من خلال عرض الحوار قال تعالى:.{ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (104)}[50] وهومدخل مباشر للقصة ، وفيه قول ومواجهة لعرض حجته ورسالته {حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (105)}[51] ليُطلب عرض المعجزة التي جاء بها {قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (106) }[52]

لتعرض المعجزة الكبرى (العصا- اليد) {فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (107) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (108)}[53] في اشارة الى التحدي بين موسى (عليه السلام) والسحرة، للتتصاعد الاحداث في عرض الاهي معجز ، وتمر القصة في مراحل التكذيب ، المواجهة، ايمان السحرة، طغيان فرعون {قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (109) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (110) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (111) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (112) وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (113) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (114) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (115) قَالَ أَلْقُوا ۖ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (116) ۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (117) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (118) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ (119) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (120) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (121) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (122) قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (123) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (124) قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (125) وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ۚ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (126) وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي

الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (127)}[54] فرغم الحجة القوية التي عرضتها القصة الا انها لم تزد فرعون الاطغياناً وجحوداً ليأت دور النبي الذي يهون على من آمن به
{قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (128)}[55]
لتأت خاتمة القصة بالعذاب المحقق الذي وعدهم الله به {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (133) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (134) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ (135) فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (136) }[56] لتتضح الاحالة القصية بشكل تفصيلي من قوله تعالى:{ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (12) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (13)}[57] فذكر هذه الشخصية دون تفصيلات عنها ماهو الا احالة ذهنية للقارئ بان هناك قصة مكتملة في سورة او موزعة في سور أخرى متفرقة ، وهو خصوصية قرآنية انماز بها القرآن الكريم عن غيره من الخطابات، فقد وردت في سورة (طه)[58] ففيه عرض درامي غير مكرر وتفصيل للمواجهة بين نبي الله موسى(عليه السلام) والسحرة ووردت في سور أخرى لامجال لتفصيلها في هذه الورقة البحثية.
ما يهمنا هو أن الاحالة وردت في أكثر من موضع في القرآن الكريم بحيث يكمل كل موضع الآخر ، أو يتم عرضه من زاوية أخرى، أو التركيزعلى عنصر بعينه بحسب سياق السورة ، وهذا ما يجعل القرئ يستحضر النصوص الاخرى فذكر فرعون دلالة على كم من الاحداث التي ترمز الى العلو في الارض {فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (83)}[59] وقوله تعالى:{ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (88)}[60] ، والطغيان {اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (24)}[61] الذي انتهى بعقوبة الطوفان{ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (50) }[62]

فالاحالات جميعها تبني القصة بطريقة سردية محكمة الا انها تدعو القارئ الى التدبر والتمعن في كل مرة يثار فيها هذا الاسم(فرعون)، لامجرد التلقي القصصي المتتابع . فالقصة لاتعرض دفعة واحدة ، في سورة واحدة وان كان لفرعون ذكر أكثر تفصيلاً في كل مرة تذكر

القصة ، الا أنها مجزأة في مواضع مختلفة وصولاً الى أختزالها ب{ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10)}[63].

هذا التقسيم السردي على سور القرآن الكريم، يوصف بأنه أحد أشكال (الاحالة القصصية المكتملة) التي تثير القارئ وتحفزه على الاستحضار والربط بين الاحداث، لأن قراءة القرآن تستدعي التدبر والتأمل مما يجعل فعل القراءة القرآنية قائم على التفاعل والتدبر ، لا فعلاً استهلاكياً قصصياً فالقصص القراني للتأمل والعضة والعبرة{ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (3)}[64] والبحث عن السياقات الاسلوبية للقرآن الكريم، واستكشاف الاسباب والمآلات والنتائج من خلال البحث التدبري لكل قصة.

الخاتمة:

- تعرف الاحالة على أنهاعلاقة نصية بين عنصر آني وآخر سابق او لاحق له، وتكون داخل النص أو خارجه سواء أكانت هذه الاحالة لفظية اومعنوية بحسب مقتضيات السياق.
- يتميزالقصص القرآني وسورة (الفجر) خاصة بخاصية إحالية، فذكر اسماء مجردة عن التفصيل(عاد ، ثمود ، فرعون) باوصاف مختصرة ماهي الا دعوة للمتلقي بامعان الفكر والبحث عن دلالة هذه الاسماء عن طريق إحالتها الى القصة التي تتضمنها في في سور أخرى من النص القرآني نفسه.
- وردت الاحالات القصصية في سورة الفجر على ثلاث أنواع :

اولاً- الاحالة القصصية المختزلة: بأن يشار الى قصة أو مشهد سردي ورد في سورة أخرى ، مما يفضي على القارئ استحضار معرفته المسبقة بالنصوص القرآنية الاخرى ، لفهم الإشارة واستكمال معناها، والتي توصف على أنها نوعاً من التناص ، او التداخل النصي الذي يثري المعنى، ويسهم في تعميق البنية الرمزية والدلالية للنص وتكون بشكل مختزل خالي من التفصيلات السردية .

ثانياً- الاحالة القصصية شبه المكتملة: وهي خاصية إحالية أكثر تفصيلاً في ورود إحالاتها القصصية لأن ؛ الخطاب القرآني لايعيد ويكرر الصياغات السردية في النص القرآني بل يحيل الى احداثها أو عناصرها في مواضع مختلفة ويفصل في موضع ويجمل في موضع آخر، بحسب السياق وسبب النزول ولحكمة إلاهية لايعلمها الا هو سبحانه.

ثالثاً- الإحالة القصصية المكتملة : وتتمثل في ذكر(فرعون) فالاحالات هنا جميعها تبني القصة بطريقة سردية محكمة الا انها تدعو القارئ الى التدبر والتمعن في كل مرة يثار فيها هذا الاسم(فرعون)، لامجرد التلقي القصصي المتتابع . فالقصة لاتعرض دفعة واحدة ، في

سورة واحدة وان كان لفرعون ذكر أكثر تفصيلاً في كل مرة تذكر القصة ، الا أنها مجزأة في مواضع مختلفة وصولاً الى أختزالها ب{ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10)} .

الهوامش:

[1])لسان العرب ، ابن مظور(ت711 ه)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3 ، 1994 : 186/11 (مادة: ح و ل)
[2]) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزّبيدي، تح: مجموعة من المختصين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 366/2001:28.
[3]) ينظر : دلائل الاعجاز ، ابي بكر عبد القاهرعبد الرحمن بن محمد الجرجاني الجرجاني النحوي(ت 471ه) ،تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر،د.ط، د.ت: 105-110.
[4]) شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، محمد بن الحسن الرضي الاستراباذي (ت 656ه)تح: حسن بن محمد بن ابراهيم الحفظي، منشورات جامعة الامام محمد بن سعود ، ط1، 1،268/1966.
[5]) ينظر: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية- بنية الخطاب من الجملة الى النص-، د. أحمد المتوكل، دار الامان ، الرباط، المغرب: 137-138.
[6]) النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، تر: د. تمام حسان،عالم الكتب ، القاهرة، مصر ،ط1، 1998 :32
[7]) لسانيات النص – مدخل الى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت ، لبنان،ط1، 1991 : 17 .
[8]) تحليل الخطاب ، ج.ب. براون و ج يول، تر: د. محمد لطفي الزليطي و د. منير التريكي، جامعة الملك سعود، السعودية،د.ط،1997 : 36.
[9]) الإحالة –دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب هاليداي ورقية حسن، شريفة بلحوت، (رسالة ماجستير)، 2006 : 15.
[10]) وما يهمنا منه في بحثنا هذا المعنى الذي يشير الى أن التناص ماهو الا نصوص تشير الى نصوص اخرى ، ومثلها الاشارات تشير الى اشارات اخرى، وليس الى اشياء بعينها، لان النص المتداخل هو نص يتسرب الى داخل نص آخر ليجسد المدلولات. ينظر: الخطيئة والتكفير من البنيوية الى التشريحية، عبد الله الغذامي،جدة ، النادي الادبي الثقافي، 1980: 321- 320.
[11])الفجر: 6-11.
[12]) الفجر: 1-5.
[13]) ينظر: اسلوب القسم الظاهر في القرآن الكريم – بلاغته واغراضه-، د. سامي عطا حسن، جامعة آل البيت ، الاردن،د.ط، د.ت:44.
[14]) الاعراف / 74. قال علماء التفسير والنسب : ثمود بن عاثر بن إرم بن سام بن نوح ، وهو أخو جديس بن عاثر ، وكذلك قبيلة طسم ، كل هؤلاء كانوا أحياء من العرب العاربة قبل إبراهيم الخليل ، عليه السلام ، وكانت ثمود بعد عاد ، ومساكنهم مشهورة فيما بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله. ينظر: تفسير ابن كثير :160.
[15])التوبة/ 70.
[16]) هود/ 50.
[17])هود / 59.
[18]) هود/ 60.
[19]) الشعراء/ 123.
[20])فصلت/13.
[21]) فصلت /15.
[22]) الاحقاف/ 21. تفسير الآية قوله تعالى مسليا لنبيه في تكذيب من كذبه من قومه : (واذكر أخا عاد) وهو هود ، عليه السلام ، بعثه الله إلى عاد الأولى ينظر : تفسير ابن كثير :505
[23]) الذاريات/ 41.
[24]) القمر/ 18.
[25]) الحاقة/ 6.
[26]) ينظر:علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2000 : 40/1.
[27]) فصلت/ 16.
[28]) ينظر : بلاغة اسلوب الايجاز في حديث القرآن عن القرآن قراءة في بعض الآيات المكية، أحمدي عثمان يوغي صفي الله، مجلة الزهراء ، حكومة جاكارتا، ع 1، 2018 :64.
[29])النجم/50.
[30]) الفجر / 6.
[31]) الفجر/ 7-8.
[32]) هود/ 59.
[33]) هود/60.
[34]) الذاريات /41.

[35]) القمر /18.
[36]) الحاقة/ 6.
[37]) الفجر/9.
[38]) الاعراف/73
[39]) الاعراف/77.
[40]) الاعراف/ 74.
[41]) الاعراف/ 75.
[42]) الاعراف/ 77.
[43]) الاعراف / 78- 79.
[44]) الاسراء/ 59.
[45]) تفسير الطبري: 288.
[46]) الفجر /10.
[47]) البقرة/ 49.
[48]) البقرة/ 50.
[49]) الاعراف/103.
[50]) الاعراف/ 104.
[51]) الاعراف/105.
[52]) الاعراف/106.
[53]) الاعراف/ 107-108.
[54]) الاعراف / 109- 127.
[55]) الاعراف/ 128
[56]) الاعراف/ 133-136.
[57]) الفجر/ 10-13.
[58]) طه/9 – 92.
[59]) يونس/83.
[60])يونس/ 88.
[61])طه/ 24.
[62]) البقرة/ 50.
[63]) الفجر/10.
[64]) يوسف/ 3.